مصحف المطبعة الثعالبية
أول مصحف مطبوع بالجزائر
عرض ودراسة

د/ رضوان بن إبراهيم لخشين
أستاذ مادة التجويد والقراءات
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فالقرآن الكريم محل اهتمام المسلمين قديما وحديثا، شكلا ومضمونا، وقد كانت المصاحف قديما تتخذ باليد في كل متعلقاتها رسما، وضبطا، وتجليدا، ولما ظهرت وسائل الطباعة الحديثة كان سبيلا مباركا لمزيد العناية بالمصحف الشريف، فانتشرت طباعته في سائر الأقطار الإسلامية، ومنها الجزائر، وفي هذا المقال حاولت إبراز جهود أول مطبعة جزائرية (المطبعة الثعالبية) في طباعة المصحف الشريف، من خلال عرض، ودراسة علمية وفنية للمصحف الذي طبعته هذه الدار.

الملخص بالفرنسية

Cette étude met l'accent sur l'importance du texte coranique .par rapport aux manuscrits des premiers siecles

L'émergence de l'imprimerie moderne a ouvert les portes à Mushaf-sharif, ainsi l'impression s'est propagé dans beaucoup de pays islamiques, dont l'Algérie. Dans cet article, nous avons tenté de mettre la lumière sur les efforts de la première presse algérienne (l'imprimerie Taalibiya) à travers une étude analytique et scientifique de l'édition coranique de l'établissement concernée.

مقدمة

الحمد لله الذين أنزل القرآن على عبده وحيا وتبيانا، وأرشد إلى تدوينه وجمعه كتابا وديوانا، وصلى الله وسلم على محمد بن عبد الله سيد المرسلين، وخير خلقه أجمعين، أمر بالقرآن فكتب حتى التمام، وجمعه صحابته من بعده

المنارة للاستشارات
ww

مصحفا، فكان مسك الختام، أما بعد:

فلا تخفى على ذي بصر منزلة القرآن الكريم لدى المسلمين، واحتفاؤهم بحفظه وتفسيره، وكتابته وتدوينه، بواضحة الخط ورعاية مرسومه، ومتقن الضبط دفعا لتحريفه وتبديله، واستمر ذلك حقبا من الزمان طويلة، إلى أن بزغ فجر الصناعات المتنوعة، وكانت منها فنون الطباعة، فكانت بداياتها بمختلف الكتب الإفرنجية الغربية، واحتاط المسلمون أول الأمر عن طبع الكتب الدينية، والمصاحف من باب أولى، ثم ترخصوا بعدها، فكان أخذهم بالرخصة في ذلك أولى وأولى، لما فيه من مصالح متحققة، ومنافع سامقة.

وإذ أكتب هذا البحث المقتضب فهو محاولة لرصد بدايات الطباعة في إحدى الدول الإسلامية، دولة الجزائر عافاها الله سبحانه، أيام كانت لا تزال ترزأ تحت وطأة الاستدمار الغاشم، ومع كل ما هنالك أبت الهمم العلية، والمساعي القوية إلا أن تحمل على أكتافها عبأ خدمة القرآن الكريم طباعة وإخراجا، فكان فضل السبق في ذلك بحق لمطبعة هي أقدم المطابع الجزائرية، ألا وهي "المطبعة الثعالبية".

أما سبب الكتابة في هذا الموضوع، فهو صلة لبحث تقدم عنونته: "تاريخ طباعة المصحف الشريف في الجزائر"، أوقفني على بعض الحقائق المتعلقة بمصحف المطبعة الثعالبية، ولم يناسب المقام ذكرها يومها، فأرجأت ورجوت أن أفردها ببحث يوضح شيئا من ذلك على وجه التفصيل قدر الإمكان، فكانت هذه الكلمات، تحت مباحث موضحات للمقصود، جملتها أربعة مباحث وخاتمة، بعدها ملحق ببعض الصور التوضيحية، وتفصيل خطة البحث كالآتي:

المبحث الأول: تعريف المصحف لغة، واصطلاحا.

المبحث الثاني: التعريف بالمطبعة الثعالبية.

المبحث الثالث: التعريف بمصاحف المطبعة الثعالبية، وتوصيفها.

المبحث الرابع: دراسة لمصاحف المطبعة الثعالبية.

الخاتمة:

ملحق البحث. وكشاف المصادر والمراجع.

وهذا أوان تفصيل الكلام، فاللهم ارفع الخطأ والنسيان والملام، وصل وسلم على محمد خير الأنام في البدء والختام.

المنارة للاستشارات

ww

المبحث الأول: تعريف المصحف لغة واصطلاحا

• **الفرع الأول**: يقال في اللغة: (مُـَصحف) بتثليث الميم[1]، والضم هو الأصل[2]، والأشهر، والجميع لغاتَ صحيحة خلافا لمن ضعف الفتح[3]، والكسر[4]، قال ثعلب في لغة الفتح: «لغة صحيحة فصيحة»[5]، ونسب الفراء الكسر إلى لغة العرب، كما سيأتي النقل عنه.

واسم (مصحف) اسم عربي، ومن قال خلاف هذا فهو وهم منه[6]، قال الفرّاء وهو من أئمة اللغة: «وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسرت ميمها، وأصلها الضم، من ذلك مِصحف»[7]، فنسب هذا للعرب. وقال في المخصص: «تَمِيم تَقول المِغْزَل والمِصْحَف والمِطْرَف، وَقيس تَقول المُغْزَل والمُصْحَف والمُطْرَف»[8].

• **الفرع الثاني**: أما المصحف في الاصطلاح فهو: اسم للكتاب الذي يجمع بين دفتيه القرآن الكريم من أوله إلى آخره، مرتب السور والآيات، على ما كان في الجمع الذي قام به عثمان ﷺ للقرآن الكريم[9]. قال الأزهري: «وإنما سُمي المصحف مصحفا لأنّه أصحف، أي جُعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين»[10]، فهذا أصل اشتقاقه، وسبب تسميته، ثم استمر إطلاق اسم المصحف على ما بين الدفتين، فـ«المصحف هو الجامع للصحف المكتوبة ... وغلب على ما كتب من القرآن»[11]، حتى صار يقصد به القرآن الكريم نفسه،

---

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (826).

(2) كما سيأتي في كلام الفراء، وانظر مختار الصحاح للرازي (201).

(3) وهو ابن مكي الصقلي، كما في تثقيف اللسان (218-219)، وتبعه الصفدي في تصحيح التصحيف (484).

(4) وهو العسكري في الأوائل (219).

(5) الصاغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر، (339).

(6) يُذكر عن ابن السكِّيت في إصلاح المنطق (120) وكلامه فيه لا يدل على ما نسب إليه.

(7) ابن السكِّيت، إصلاح المنطق، (120). ابن سيده، المخصص، (325/4-326).

(8) ابن السكِّيت، إصلاح المنطق، (120). ابن سيده، المخصص، (325/4-326).

(9) محمد بن عبد الرحمن الطاسان، المصاحف المنسوبة للصحابة، (22).

(10) ابن منظور، لسان العرب، (186/9).

(11) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (321/2-322).

المنارة للاستشارات
ww

تسمية للشيء باسم المكان الموجود فيه، والمتخذ له، كما قيل في الغائط[1]، ونحوه.

المبحث الثاني: التعريف بالمطبعة الثعالبية

إنّ الطباعة الحديثة ـ كما هو معلوم ـ أوربية النّشأة، ثم انتقلت إلى بقيّة دول العالم، الإسلامية وغير الإسلامية، ومنها الجزائر، فقد عُرفت الطباعة فيها مع دخول الاستدمار الفرنسي سنة 1830م، الذي حمل على إحدى سفن أسطوله أوّلَ مطبعة تدخل تراب الجزائر، واسمها (الإفريقية)، وكانت باللغة الفرنسية فقط، اتُّخِذت لطباعة مختلف المراسيم، والقرارات الاستدمارية[2]، ومع تزايد الوجود الفرنسي تزايدت تبعا لذلك مطابعه لتلبية مُختلف احتياجاته المطبعية كالجرائد، والصحف، والكتب، ونحوها لكن بالفرنسية فقط.

وفي سنة 1832م أُدخِلت[3] أوّل مطبعة باللغتين الفرنسية والعربية، واستُخدمت لطباعة القواميس (عربي فرنسي، فرنسي عربي)، وكذا الجرائد ونحوها، وهذا في ظاهره حسن لكن حقيقته خِدمة للمعمرين، ولتعليمهم لغة الجزائريين ليتواصلوا معهم، وترغيبا للمواطن الجزائري في لغتهم الفرنسية، لتهدم في المقابل اللغة العربية، وهي أوّل معالم طمس الهوية[4].

ومع توسع الاستدمار في ولايات الوطن، اتخَذ في كل مدينة رئيسة مطبعة خاصة لتلبية حاجاته، فكانت منها مطابع بكل من قسنطينة، ووهران،

---

(1) واختلف الباحثون في تسمية القرآن الكريم باسم مصحف، فبعضهم يرى جواز تسمية القرآن الكريم مصحفا، وبعضهم لا يرى ذلك، فالصحابة لما كتبوا القرآن الكريم في تلك الصحف متفقون على أن ما فيها هو القرآنُ الكريم، كلامُ الله تعالى، ولما جمعوه مكتوبا اتخذوا له اسما غير ما عرف عندهم من أسماء القرآن الكريم، فسموه مصحفا. انظر: محمد بن عبد الرحمن الطاسان، المصاحف المنسوبة للصحابة، (22-24). ولعل ما ذكرته يجمع بين القولين، فمن منع نظر إلى أصل اشتقاق الاسم، ومن أجاز نظر إلى غلبة الاستعمال بعد ذلك، والله أعلم.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (305/5).

(3) أدخلها أحد الفرنسيين واسمه: (جنتي دي بوسيه)، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (305/5).

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (305/5-306).

المنارة للاستشارات

ww

وغيرهما[1].

وظل الاستعمار محتكرا لفن الطباعة ما يقرب من سبعين سنة، إذ لم يُعلم أنّ جزائريا أو مسلما اتخذ مطبعة إلا في حدود 1900م[2]، أو قبلها بقليل، لما اتخذ الأخوان رودوسي أول مطبعة جزائرية عربية رسمية، كان لها بعد الله تعالى الفضل الكبير، و الإسهامات العظيمة في طبع ونشر كتب التراث العربي والإسلامي[3]، كما كانت ـ لما كثرت المطابع بعد ذلك[4]ـ الوحيدة من بين المطابع التي اعتنت بطباعة المصحف الشريف.

ولمزيد من التفصيل والتوضيح أقول، إن الأخوين رُودُوسي[5] أحمد وقَدُّور بني مراد التركيين قدما الجزائر، وكانا ذَوَي اهتمام بالغ بالكتب بيعا، وطباعة، ولجملة من الظروف والأسباب المساعدة[6]، استطاعا تأسيس أوَّل مطبعة بالعربية في الجزائر سنة (1314هـ/1895)[7]، وسُميت بـ:

---

(1) ذكر جملة طيبة منها أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي، (306/5).

(2) وكان الكتاب العربي يومها وقبلها ينسخ باليد، أو يسرب من سوريا ومصر.

(3) كتبت عن هذه الدار كتابات أخرى منها:
أولا: (المطبعة الثعالبية الجزائرية ودورها في نشر التراث ...)، أبو بكر ضيف، مقال على النت عليه ملاحظات قليلة.
ثانيا: (جهود المطبعة الثعالبية الجزائرية في نشر التراث ...) بشير ضيف. أشار إليه صاحب المقال الأول وذكر أنه مخطوط.

(4) فأُحصي منها إلى سنة 1937م ما يزيد على سبع مطابع. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (310/5-312).

(5) نسبة إلى جزيرة رُودِس من جزر الأرخبيل في الجنوب الغربي لبلاد تركيا، فتحها المسلمون زمن معاوية ﷺ، ودخلت تحت الولاية العثمانية ابتداء من سنة 929هـ/1522، ثم كانت لإيطاليا 1912م، وابتداء من 1947م صارت تابعة لليونان. انظر: أطلس الحديث النبوي لشوقي أبو خليل (197). ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (402/4-404)، تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله (574/5).

(6) ولعل أهمها الاتفاق مع سلطات فرنسا إذ من غير الممكن أن يكون ذلك دون إذنها، خاصة إذا علمنا أن مطبوعات المطبعة سيُسمح لها بالتدوال بين مستعمرات فرنسا الأخرى كـ(تونس، والمغرب)، انظر: تاريخ الجزائر الثقافي (574/5، 309).

(7) قائمة كتب المطبعة الثعالبية، (1)، أما المؤرخ أبو القاسم سعد الله فاحتمل تاريخ نشأتها سنة (1896م)، وما ذكرته أدق إذ هو المذكور على واجهة القائمة المذكورة، =

المنارة للاستشارات
ww

(المطبعة الثعالبية)[1]، واتخذا معها أيضا مكتبة للبيع، والمطالعة اسمها: (المكتبة الأدبية)، ومقرُّهما يومها وسط الحي الشعبي العربي المعروف بـ: (القصبة)، في شارع مصطفى بن إسماعيل (عدد1)[2]، المعروف سابقا بشارع (لاڤِير)، والمعروف اليوم بشارع المجاهد (أحمد بوزربية)[3]، «وفي غياب المكتبات العربية كانت مكتبة رودوسي محطة للأدباء والعلماء»[4] يومها، خاصة مع كثرة جديدها، ففي إحدى العبارات على فهرس المطبعة ما نصه: «في كل شهر تحدث كتب غير الموجودة في هاته القائمة»[5].

وأقر هنا بقلة ما حصلت عليه من معلومات عن تاريخ هذه المطبعة، ومسارها المهني، غير أن تتبع بعض الكتب والمصاحف التي طبعتها هذه المطبعة يدل على جملة من الأمور المتعلقة بتاريخها وأصحابها، ألخصه فيما يلي:

دوِّن على الطبعات الأولى لمصحف المطبعة الثعالبية الأول، وبالتحديد الطبعة الثالثة منه سنة 1331هـ/1911 دوِّنت عبارة: (المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه)، فظاهر منها أن أحمد هو المسؤول الأول على المطبعة، لما ذكر الأخ الآخر بعبارة (وأخيه) دون تصريح باسمه، ولعلها تومئ إلى أن أحمد أكبر الأخوين سنا على ما جرت عليه العادة من أن التملك يكون للأكبر سنا.

وأما في مصحف المطبعة الثاني كما في طبعة سنة 1924م، وفي فهرس الثعالبية الصادر سنة 1928م، عُدِّلت العبارة إلى: (المطبعة الثعالبية، والمكتبة

= وانظر: تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله (309/5).

(1) نسبة إلى المفسر المعروف عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1470) صاحب تفسير (**الجواهر الحسان**)، انظر: معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض (90). ومن أخطاء بعض مقالات الأنترنت ادعاؤها أن الثعالبي مؤسسها، ورودوسي مسيرها.

(2) وهو شارع كبير لذا قسم إلى قسمين: (1، و2)، ووهم بعضهم لما رأى الرقم (1) بهذا الشكل كتب فوق المطة التي بين العين والدال (عٰدد) فظنها ألف إلحاق فقرأ اسم الشارع (مصطفى إسماعيل عادد)، والصواب ما ذكرته سابقا.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (309/5).

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (309/5).

(5) قائمة كتب المطبعة الثعالبية، (3)، ورقم هذه القائمة (33)، ولم يتيسر لي غيرها قبلها، أو بعدها من قوائمها للمقارنة.

المنارة للاستشارات

ww

الأدبية لصاحبها رودوسي قدور بن مراد التركي)، وهي دالة على أن ملكية المطبعة، والمكتبة صارت إلى قدور، وهو ما يدل على انقطاع ملكية الأخ الأكبر ولعل هذا بسبب موته الذي كان قبل تلك السنة أي ما بين 1911م، و1924م.

ثم في طبعات متأخرة من مصحف الثعالبية الثاني، وتحديدا سنة (1971م) صارت هذه العبارة هكذا: (شركة رودوسي قدور بن مراد التركي وأولاده)، وهي دالة على أن قدور قد طوَّر المطبعة، والمكتبة إلى أن صارتا شركة كاملة الأركان، وأنه قد تزوج وصار له أولاد قاسموه مهامه فيها.

المبحث الثالث: التعريف بمصحف المطبعة الثعالبية

فيما تقدم ذكره إشارة واضحة إلى اعتناء المطبعة الثعالبية بطباعة المصحف الشريف، بل لقد اختصت بشرف كونها أول مطبعة تطبع أول مصحف جزائري، وحتى أضع هذا المصحف أمام القارئ رأي العين، أذكر توصيفه في هذا المبحث. ولكن من الضروري قبل ذلك أن أشير إلى أن المعروف عند أكثر الباحثين أن للمطبعة الثعالبية مصحفا واحدا، وهو المعروف عند كثير من العامة بمصحف (رودوسي)، أو (مصحف الثعالبية)، والذي أرجحه أن للمطبعة مصحفين: مصحف أول ستأتي الإشارة إليه بعد كلمات قليلة، وآخر ثاني وهو المعروف عند الباحثين والعامة، وفيما يأتي توصيف لكل مصحف منهما على حدة لأجل أن يعرف القارئ ذلك عن كثب، فأقول:

- **الفرع الأول: المصحف الأول للمطبعة الثعالبية**[1]

وهو أوّل مصحف يُطبع بالقطر الجزائري، ومن أوائل المصاحف بالمغرب الإسلامي عموما[2]، وتوصيف المصحف الكامل منه كالآتي:

روايته: رسم وضبط على رواية ورش عن نافع رحمهما الله.

مقاساته: الغلاف الخارجي (23.3×16)سم، الأوراق (23×16.3)سم،

(1) انظر الصور (1، 2، 3) آخر البحث.

(2) ولعل أولها مصحف بالمغرب طبع على الحجر سنة 1879م، أفاده المنوني كما تقدم قريبا، أما في تونس فتشير كلمة للعلامة عبد الواحد المارغني أنّ المتوفر لديهم من المصاحف المطبوعة يومها هي المصاحف الثعالبية المطبوعة في الجزائر، انظر: إجازة المشايخ النظار المطبوعة ضمن مجموعة رسائل نهاية النجوم الطوالع، دار الفكر، (252)، ونَصَّ آخرها أنه ألفها سنة 1354هـ، ثم وقفت على مصحف طبع في تونس سنة 1365هـ، فأكد ما تقدم.

المنارة للاستشارات

الإطار المكتوب فيه القرآن الكريم (18.8×12.5)سم.

عدد صفحاته: (638) صفحة بإضافة دعاء الختم.

مسطرته: (14) سطرا في كل صفحة.

غير مختوم الآيات (غير موجه)، فلا تنتهي الآية بنهاية الصفحة.

كما جزِّئ إلى أربعة أرباع في مجلد واحد، وآخر كل ربع فهرس سوره، الأول: من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، والثاني: من سورة الأعراف إلى سورة الكهف، والثالث: من مريم إلى فاطر، والرابع: من سورة يس إلى سورة الناس، وأول كل ربع صفحة خاصة مزخرفة تكتب فيها فاتحة أول سوره، وآخر المصحف دعاء الختم.

بداية كل سورة بإطار مزخرف يكتب فيه اسم السورة وكونها مكية أو مدنية فقط، ثم تفتتح السورة بالبسملة، وأولها في سطر مشترك. وخارج الإطار من الأعلى اسم السورة في الوسط وفي الطرفين رقم الصفحة، ومن الأسفل في الصفحة اليمني تعقيبة تدل على أول التي تليها، وعلى هامشه كما هو معهود علامات التجزئة المعروفة.

التعريف به: لم يذكر لهذا المصحف أي تعريف به.

نوع خطه: مغربي مبسوط حسن مقروء.

كاتبه: لم يذكر اسم الخطاط الذي كتبه في أول المصحف، ولا في آخره، وإنما أخذ ذلك من:

- **أولا**: الصفحة الأولى للمصحف ففي زاويتها اليسرى إلى الأسفل كتب بخط صغير (السفطي)، فأخذ من ذلك أنه هو كاتبه، وواضع زخارفه.

- **ثانيا**: آخر صفحات المصحف، وتحديدا صفحة الفهرس فقد كتب عليها خارج الإطار (عمل السفطي).

- **ثالثا**: ثم علمنا مما ذكره المؤرخون أن الشيخ محمد شرادي المعروف بـ السفطي المولود (1861م)، كان من كتاب المصاحف المعروفين يومها، وأنه هو الذي تولى كتابة مصحف الثعالبية، على ما أفاده المؤرخ أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي[1]، ومما ذكره أيضا أنه كان قيما على مسجد بالعاصمة يعرف بمسجد سيدي رمضان، ثم صار قيما على إحدى المقابر وسط العاصمة، وكان ذا حرفة ودراية بالخط والتغليف والتجليد.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (5/53-56، 8/428).

المنارة للاستشارات

ww

- **رابعا**: شهادة الخطاط الجزائري المعروف (محمد سعيد شريفي حفظه الله)[1].

طبعاته: لبعد زماننا عن زمان طباعة هذا المصحف لم أقف على الكثير من طبعاته للمقارنة بينها، والذي اطلعت عليه الطبعة الثالثة منه، التي طبعت سنة 1331هـ/1911.

- **الفرع الثاني: المصحف الثاني للمطبعة الثعالبية**[2]

ثاني مصاحف المطبعة الثعالبية توصيفه كالآتي:

روايته: رسم وضبط على رواية ورش عن نافع رحمهما الله.

مقاساته: الغلاف الخارجي (22.3×15)سم، الأوراق (21.3×15)سم، الإطار المكتوب فيه القرآن الكريم (19×12.5)سم.

عدد صفحاته: (718) صفحة بإضافة دعاء الختم، وفهرس سور الربع الأخير.

مسطرته: (13) سطرا في كل صفحة.

وهو مصحف غير موجه، جزِّئ إلى أربعة أرباع في مجلد واحد، وآخر كل ربع فهرس سوره، الأول: من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، والثاني: من سورة الأعراف إلى سورة الكهف، والثالث: من مريم إلى فاطر، والرابع: من سورة يس إلى سورة الناس، وأول كل ربع صفحة خاصة مزخرفة تكتب فيها فاتحة أول سوره، وآخر المصحف خاتمة، ثم دعاء الختم، ثم فهرس لجميع سور القرآن الكريم[3].

في بداية كل سورة إطار مزخرف، يكتب في أعلاه رقم السورة بحسب ترتيب المصحف، ثم في السطر بعده اسم السورة وكونها مكية أو مدنية، وفي السطر تحت ذلك ذكر عدد آياتها، وأي السور نزل قبلها، ثم تفتتح السور بالبسملة ولا تفرد بسطر خاص. وخارج الإطار من الأعلى اسم السورة في الوسط وفي

---

(1) سطرها الأخ الباحث عبد الهادي لعقاب في بحثه الموسوم: تاريخ طباعة المصحف الكريم في الجزائر، (651- 652) من مجموع بحوث ندوة (طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول).

(2) انظر الصور (4، 5، 6) آخر البحث.

(3) وطبع هذا المصحف مجزأ، فطبع منه كل ربع على حدة، وطبع منه النصف الأخير منفردا، وجزء قد سمع (سورة المجادلة)، انظر: قائمة كتب المطبعة (3، 6).

المنارة للاستشارات

الطرفين رقم الصفحة بالعربية والهندية، ومن الأسفل في كل صفحة تعقيبة تدل على أول التي تليها، وعلى هامشه علامات التجزئة المعروفة.

التعريف به: جاء التعريف بهذا المصحف في آخره باسم (خاتمة) فيها أنه كتب وضبط برواية ورش، وأخذ هجاؤه من منظومة (مورد الظمآن) للخرَّاز، واتبع في عد آياته طريقة الكوفيين، واتبع في مكيه ومدنيه أشهر المصاحف المطبوعة، واعتمدت فيه الوقوف الهبطية، وآخر ذلك ذكر من راجع المصحف واطلع عليه من العلماء، وهم: (الشيخ مفتي الجامع الأعظم، والإمام الخطيب بالجامع الجديد، والإمام الخطيب بالجامع الأعظم: محمد بابا عمر، محمد اليعقوبي، محمد شارف)[1]. ويضاف إلى ذلك أنه على طريقة المغاربة في الضبط، ومواضع الأثمان، والأرباع، والأنصاف، والأحزاب.

نوع خطه: مغربي حسن مقروء، بنطه أثخن من بنط المصحف الأول.

كاتبه: لم يذكر في أول المصحف، ولا في آخره اسم الخطاط الذي كتبه، ويحتمل[2] أنه من خط الشيخ السفطي ﷺ للتشابه التام بين الخطين، وإنما اختلفا في سمك قلم الكتابة.

طبعاته: لم يُنص في هذا المصحف على عدد طبعاته، وإنما يُكتفى في ذلك بقولهم: (طبعٌ جديدٌ) مع ذكر سنة المراجعة والتصحيح، ومن طبعاته التي وقفت عليها:

- طبعة تمت مراجعتها وتصحيحها سنة 1342هـ/1924.
- طبعة تمت مراجعتها وتصحيحها سنة 1350هـ/1932.
- طبعة تمت مراجعتها وتصحيحها سنة 1356هـ/1937.
- طبعة تمت مراجعتها وتصحيحها سنة 1390هـ/1971.

والملاحظ على هذه الطبعات اختلاف السنوات التي صدرت فيها من غير ذكر لرقم الطبعة، أما من حيث اختلاف مضمونها، فقد استعمل في الطبعتين الأخيرتين بعض الألوان في واجهة المصحف وزخارفه، لا غير.

---

(1) على هذا الترتيب للوظائف والتسمية، ولعله من باب اللف والنشر المرتب، ولم تكن يومها إبان الاستعمار جهة دينية مخولة بعمل المراجعة والإذن بالطباعة، وإنما كان ذلك عملا بين هؤلاء الرجال المعروفين بالعمل والدين وبين المطبعة، والله أعلم.

(2) يمكن الجزم بهذا في حال تيقنا حياة الشيخ السفطي ﷺ إلى تاريخ ظهور المصحف الثاني للمطبعة، لكن لم نقف على ترجمة مفصلة للشيخ، فالأمر لا يزال محتملا.

المنارة للاستشارات
ww

المبحث الرابع: دراسة لمصاحف المطبعة الثعالبية

وبعد هذا العرض الموجز، والتوصيف المختصر، من الضروري تناول هذين المصحفين ببعض الدراسة، وذلك ببيان جملة من المسائل، وسأقسمها إلى: مسائل علمية، وأخرى فنية، مع بعض المسائل المتممة والمكملة، فأقول وبالله التوفيق.

- **الفرع الأول: المسائل العلمية**
  - **أولا: أسماء السور**

يظهر في مصحفي الثعالبية سيرهما على المشهور من أسماء سور القرآن الكريم، والمعروف منها، وإن كانت ثمة بعض الملاحظات فهي متعلقة بالمصحف الأول، أما المصحف الثاني فتظهر فيه ملاحظات أخرى مشابهة لبعض ما في الأول لذا سأقدم الكلام عليها أولا، ثم أردفها بما وقع في المصحف الأول على وجه الانفراد، فأقول:

1- اجتمع مصحفا الثعالبية على إرداف بعض السور التي بأسماء بعض الأنبياء بجملة: (عليه السلام، أو عليهم السلام)، ومثاله: (سورة مريم عليها السلام، سورة محمد عليه السلام، وسورة الأنبياء عليهم السلام)، لكن الملفة للنظر أن يذكر ذلك في سور مريم، وطه، فيقال: (سورة مريم عليها السلام، وسورة طه ﷺ)، فذلك ما يلاحظ من وجوه:

(أ) • أنه لم يذكر هذا السلام والصلاة في سور أخرى بأسماء أنبياء معروفين كسور (يونس، هود، يوسف، نوح)، وهذه الملاحظة تختص بالمصحف الثاني.

(ب) • أن فيه إيهاما للقارئ أن مريم من الأنبياء[1]، لما صنع مع اسم سورتها نظير ما صنعه مع اسم سورة الأنبياء.

(ج) • أن فيه إيهاما للقارئ أن اسم طه من أسماء النبي ﷺ[2]، لما خص اسم

---

(1) قال ابن تيمية ﷺ: «بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة النصارى، والمسلمين، وقد ذكر إجماعهم على ذلك غير واحد مثل: القاضيين أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى بن أبي الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني، وغيرهم» الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (349/2)، وانظر تفسير ابن كثير (422/4).

(2) قال ابن القيم في تحفة المودود (127): «وأما ما يذكره العوام أن ﴿يس﴾، و﴿طه﴾ من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح، ولا حسن، ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنَّما هذه الحروف مثل: ﴿الٓمٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿الٓر﴾، ونحوها»، وانظر: =

المنارة للاستشارات

هذه السورة بصيغة الصلاة والسلام التي جرى العرف على ذكرها لنبينا محمد ﷺ.

(د) • وهو غريب أيضا، أنه جُمِع في سورة طه بين الصلاة والسلام، بينما اكْتُفِي في سورة محمد الواضحة من حيث التسمية، وأنها لنبينا محمد ﷺ، اكتفى فيها بالسلام فقط، بل ليس حتى السلام في المصحف الثاني.

2- انفرد مصحف الثعالبية الأول بتسمية بعض السور بأسماء معروفة لدى أهل التخصص، لكنها غير مألوفة بكثرة، فلعلها عرفت واشتهرت بتلك الأسماء وقتها، وجملتها ما يأتي:

(أ) • سورة القلم: سميت فيه بسورة (ن والقلم)[1]، وهو من الأسماء الاجتهادية المعروفة لهذه السورة، والأشهر الأول.

(ب) • سورة المعارج: كذا سميتْ فاتحةَ السورة، غير أنه كتب خارج الإطار من الأعلى سورة (سال)، والاسم الأول أشهر[2].

(جـ) • سورة الإنسان: سميت فيه بسورة (الدهر)، وسميت به في بعض التفاسير، وكتب علوم القرآن، وجملة من المصاحف[3].

(د) • سورة الشرح: سميت فيه بسورة (الانشراح)، وهو من الأسماء المعروفة لهذه السورة[4].

(هـ) • سورة المسد: سميت فيه بسورة (أبي لهب)، وقد سميت به في بعض

= ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (694/2).

(1) ورد في كلام ابن عباس ﷺ كما في الدر المنثور (240/8)، وذكره البخاري في صحيحه (1869/4 ط. ابن كثير)، والحاكم في المستدرك (540/2)، وابن عطية في المحرر (327/5)، والقرطبي في الجامع (35/12، 223/18..).

(2) ورد في كلام ابن عباس ﷺ وغيره كما في الدر المنثور (277/8)، وهي كذلك في جملة من كتب التفسير كـ: تفسير ابن جرير (596/23)، والمحرر لابن عطية (413/4)، والجامع القرطبي (165/20)، وزاد المسير لابن الجوزي (335/4)، وغيرهم.

(3) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (374/4)، والبحر المحيط لأبي حيان (308/8)، وروح المعاني للآلوسي (166/15)، التحرير والتنوير لابن عاشور (369/29)، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (493/1).

(4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (162/9)، وفنون الأفنان له (323)، والبحر المحيط لأبي حيان (483/8)، قال ابن عاشور في تحرير (407/30): «وفي بعض التفاسير تسميتها سورة الانشراح».

المنارة للاستشارات
ww

التفاسير[1].

■ **ثانيا: علم رسم المصحف**

وهو: علم تعرف به أوجه التغاير بين خط المصاحف العثمانية، والخط القياسي الإملائي[2]، وتنحصر أوجه التغاير في

أبواب علم الرسم المعروفة وهي: (الحذف، والزيادة، والإبدال، والهمزة، والفصل والوصل، وما احتمل قراءتان ورسم على إحديهما)[3]. ومصحفا الثعالبية يُظهِران بجلاء ووضوح مدى اهتمام المغاربة بهذا العلم، ففي الوقت الذي طَبَعت كثيرٌ من الدول الإسلامية المصاحفَ بغير الرسم العثماني[4]، يأبى أهل المغرب عموما، وأهل الجزائر خصوصا إلا أن يُطبع أوَّلُ مصحف عندهم وفق الرسم المصحفي، أو العثماني، الرسم الذي كان وما يزال ذا شأن عظيم عند الكبار منهم والصغار، ونظر سريع في صفحات المصحفين كافي في الدلالة على هذا.

غير أن ثمة جملة من المواضع والكلمات التي سار فيها الخطاط على رأي، والأرجح في خلافه، وليست مثل هذه البحوث بالتي تسع الكلام في ذلك تفصيلا، والله أعلم.

■ **ثالثا: علم ضبط المصحف**

هو العلم الذي يَعتَنِي بما يعتري الحرف من عوارض، كالفتح، والضم، والكسر، والسكون، والشد، والمد، ونحو ذلك، من العلامات الدالة على نطق الكلمة بوصفها المعلوم في كتب القراءات ونحوها[5].

---

(1) انظر: التسهيل لابن جزي (521/2)، ومحاسن التأويل للقاسمي (563/9)، التحرير والتنوير لابن عاشور (599/30).

(2) انظر: معجم مصطلحات علم القراءات لعبد العلي المسؤول (256). مفتاح الأمان في رسم القرآن لأحمد الفوتي (13).

(3) أحمد الفوتي، مفتاح الأمان، (14). شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، (44). وبعضهم يقتصر على الخمسة الأولى، ويدخل السادس (**ما احتمل قراءتان ورسم على إحديهما**) في بعض ما تقدم كالحذف، والإبدال، راجع: ابن وثيق، الجامع، (29). غانم قدوري، أبحاث في علوم القرآن، (172). المخللاتي، مقدمة شريفة كاشفة، (76).

(4) انظر: (تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته) لسالم العوفي (22-24). و(أبحاث في علوم القرآن) لغانم قدوري (227).

(5) المارغني، دليل الحيران، (345). عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم =

المنارة للاستشارات

وقد كتب مصحفا الثعالبية على ما هو معروف عند المغاربة من اصطلاحات في الضبط، التي تتفق في أغلبها مع اصطلاحات المشارقة الآخذين ـ في الأغلب ـ بضبط الخليل بن أحمد الفراهيدي، إلا أنها تتميز عنها ببعض الخلافات، ومنها:

1- علامة ضبط الضمة عند المغاربة (د) فوق الحرف، أما المشارقة فهي واو (و) صغيرة.

2- علامة السكون شكل الصفر المستدير (ْ)، أما المشارقة فهو خاء صغير مهملة (ْ).

3- علامة الهمزة عند المغاربة كحرف العين: (ع)، وعند المشارقة رأس عين: (ء).

4- عند المغاربة إذا تطرفت حروف (ينفق)، لم تعجم لوضوحها، ووافقهم المشارقة في الياء فقط.

5- كما أنّ الفاء تعجم بنقطة تحت، والقاف بنقطة فوق إذا كانت أول الكلمة أو توسطتها، فكلمة ﴿يُنفِقُونَ﴾، تكتب عند المغاربة ﴿يُنفِقُونَ﴾.

6- ومنها أيضا طريقة ضبط اللام ألف (لا)، وأي الطرفين اللام، وأيهما حرف المد، وللمغاربة أن الطرف الأول من الحرف هو حرف المد.

7- إضافة إلى طريقة ضبط بعض الكلمات الخاصة في القرآن الكريم نحو: ﴿وَٱلَّتِي﴾ حيث وقعت، و﴿تِلْقَآءِ﴾[يونس: 15]، و﴿أَفْئِدَةً﴾[إبراهيم: 37]، و﴿بِأَيْيْدٍ﴾[الذاريات: 47]، ونحوها.

ومن المعلوم أن علم الضبط علم اصطلاحي غايته «تصحيح القراءة، والإتيان بها على حقها»[1]، فينبغي على العلماء مراعاة «ما تدعوا حاجة العصر الذي هم فيه، وما يحقق المقصد الذي من أجله أحدث»[2] الضبط.

■ **رابعا: علم عد الآي**

أما (علم عد الآي)، أو (علم الفواصل)، فهو علم يبحث فيه عن أحوال السور القرآنية من حيث عدد آياتها، وبداية ونهاية كل آية، على اختلاف

= القراءات، (256).

(1) الداني، كتاب النقط، (138).

(2) مولاي محمد الإدريسي، استعمال الألوان، (27).

المنارة للاستشارات

ww

المذاهب في ذلك[1]. ولتمام البيان سأجعل الكلام في هذا المبحث في كل مصحف بمفرده، فأقول:

1- المصحف الأول:

القراءة المتأنية لهذا المصحف توقفنا على جملة من الملاحظات[2]، وها أنا ألخصها في النقاط الآتية:

(أ) • قال يحيى بن أبي كثير (ت 129هـ): «ما كانوا يعرفون شيئاً مما أُحْدِثَ في هذه المصاحف إلا هذه النُّقَطَ الثلاث عند رؤوس الآيات»[3]، وجاء عنه قول آخر نصه: «كان القرآن مُجَرَّداً في المصاحف، فأَوَّلُ ما أَحْدَثُوا فيه النُّقَطَ على الياء والتاء، وقالوا: لا بأسَ به هو نُورٌ له، ثم أَحْدَثُوا فيها نُقَطاً عندَ مُنْتَهَى الآيِ، ثم أَحْدَثُوا الفَوَاتِحَ والخَواتم»[4].

فمن القولين يظهر جليا أن رؤوس الآي هي منتهى الآيات، وآخر كلمة منها[5]، وعلى هذا تعريف رأس الآية عند العلماء، ويتبع ذلك أن موضع رقم الآية إنما هو بعد آخر كلمة منها، كما تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص]، فتضع علامة رقم الآية ﴿١﴾ بعد آخر كلمة ﴿أَحَدٌ﴾.

إذا تقرر هذا فمن الصنائع غير المألوفة ما فعله الشيخ السفطي ﷺ، في مصحف الثعالبية الأول إذ جعل علامة رقم الآية قبل أول كلمة من السورة: ﴿﴿١﴾قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس]، وتبعا لذلك لن يكون رقم الآية آخر السورة بل قبل أول كلمة من آخر آية فيها[6]. ولما تنبهت المطبعة إلى هذا الأمر

(1) المخللاتي، القول الوجيز، (90). عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات، (256).

(2) بعضها نبهني إليها والدي الكريم ـ حفظه الله ورعاه ـ، وهو ممن حفظ القرآن الكريم من المصاحف الثعالبية.

(3) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص395). كتاب المصاحف ابن أبي داود (ص575)، البيان في عدِّ آي القرآن للداني (131).

(4) الداني، المحكم، (2). والبيان في عد آي القرآن (130).

(5) «رأس الآية آخر كلمة في الآية، ويقال لها: (آخر الآية) و (فاصلة)» إبراهيم الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، (66). وانظر: النجوم الطوالع للمارغني (95).

(6) انظر: الصورة رقم 3، والغريب أن الخطاط لم يصنع هذا الصنيع في سورة الفاتحة، فقد جعل رموز رؤوس الآيات آخرها.

المنارة للاستشارات
ww

استدركته في المصحف الثاني.

(ب) • أن الخطاط سها عن رسم رمز آخر الآية بعد كلمة ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ من سورة الفاتحة، وهي من المتفق عليه عند علماء عدِّ الآي[1].

(ج) • أنه قد وقع في المصحف الأول من مصاحف الثعالبية اضطراب كبير في مواضع الآيات:

فقد أهمل عدة مواضع اتفق أئمة العد على عدِّها، أحصيت منها في سورة البقرة فقط سبعة مواضع هي:

﴿قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾، ﴿فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾، ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾، ﴿يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾، ﴿تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾، ﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾، ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾، واستقصاء ذلك في القرآن كله فيه طول، يحتاج إلى مقام خاص. كما عدّ مواضع لم أجد من عدّها غيره، وقد أحصيت منها في سورة البقرة ثمانية مواضع هي[2]: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ عَدّها الآية (138)، و﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ عدّها الآية (174)، و﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ عدّها الآية (213)، و﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ عدّها الآية (219)، و﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ عدّها الآية (221)، و﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ عدّها الآية (259)، و﴿مِّنْهُ تُنفِقُونَ﴾ عدّها الآية (270)، ولم يعدها أحد من الأئمة. وتتبع ذلك في القرآن كله يحتاج إلى وقت، وليس هذا البحث محله.

الملاحظة (د) • : ـ وبها أختم ـ أنه لم يُذكر في المصحف أي المذاهب هو المعتمد في عد الآي، وتتبع مواضع الخلاف المعروفة من كتب الفن يجعلك تجزم أن الخطاط وضع علامات رؤوس الآي من غير مذهب ملتزم، أو مستند واضح، والله أعلم. ومن هذه الملاحظة الأخيرة أبدأ الكلام في المصحف الثاني فأقول:

2- المصحف الثاني:

على خلاف المصحف الأول في جملة من الأمور، منها:

(أ) • أنّه نُصَّ في آخره[3] على المذهب المعتبر في وضع رؤوس آياته، وهو مذهب الكوفيين.

(ب) • أنّ تتبع مواضع رؤوس الآي شاهد صدق على ذلك، والحمد لله.

---

(1) انظر: البيان في عد الآي للداني (139). والقول الوجيز للمخللاتي (162).

(2) انظر: البيان في عد الآي للداني (140-142). والقول الوجيز للمخللاتي (164-173).

(3) انظر: ص712.

المنارة للاستشارات

ww

(ج) • أن علامة رقم الآية توضع بعد آخر كلمة فيها، خلافا لما كان من صنيع في المصحف الأول.

فهذه الملاحظات دالة حقيقة على اعتناء المطبعة بالقرآن الكريم، تصحيحا، واستدراكا، وإضافةً لما لا بد منه ليكون المصحف على أكمل ما يكون.

▪ **خامسا: علم الوقف والابتداء**

«فن جليل يعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء لإتمام المعنى، والابتداء بمواضع محددة لا تختل فيها المعاني»[1]، وقد اعتمد المغاربة قديما وحديثا على ما اختاره الإمام الهبطي ﷺ (ت930هـ)[2] من مواضع الوقوف، وعلامة الوقف (ص)، التي هي أول كلمة (صه)[3] بمعنى قف، وعلى هذا الصنيع مشت المطبعة الثعالبية في المصحفين جميعا، ومقارنة مواضع ذلك بنظيرها في مصحف الخطاط شريفي الذي اعتمد الوقوف الهبطية شاهد على ذلك، وقبل ذلك شهادة العلامة عبد الواحد المارغني في كتابه "إجازة المشايخ النظار"[4] حين قال: «وقد تأملت بعض المصاحف القرآنية الثعالبية فوجدت أوقافها هبطية صحيحة»، وأُجمل الكلام في علم الوقف والابتداء في المصحفين في النقاط الآتية:

1- اتفق المصحفان على المواضع الموقوف عليها، والموضوعة فيها علامة (ص)، ولم يختلفا إلا في مواضع نادرة، كالآية 93 من سورة البقرة مثلا.

2- حوت سورة الفاتحة ثلاثة وقوف، على ما اختاره الهبطي ﷺ، وهي: ﴿ٱلدِّينِ ۝٤﴾، ﴿نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، أخذا من قوله ﷺ في الحديث

---

(1) عبد العلي المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات، (257).وانظر البرهان للزركشي (342/1)، والنشر لابن الجزري (240/1).

(2) له ترجمة في: شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف (277)، وسلوة الأنفاس (268/1، 7/2)، نيل الابتهاج للتنبكتي (586).

(3) هي اسم فعل أمر بمعنى اسكت، والسكوت لغة معناه التوقف عن الكلام، والمقصود بها هنا ما يقصده علماء الوقف والابتداء باصطلاح الوقف، وهو «قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله»، انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (1248)، والنشر لابن الجزري (240/1).

(4) (253/ النجوم الطوالع)، وقد ألف كتابه هذا سنة 1354هـ، فالأقرب توجه كلامه إلى المصحف الثاني من مصاحف الثعالبية.

المنارة للاستشارات
ww

القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»[1] الحديثَ.

3- توضع علامة الوقف (ص) على رؤوس الآي، وفي هذا دليل واضح على أن كاتب المصحف جعل حكم رؤوس الآي كحكم غيرها، من حيث رعاية المعنى فيما يوقف عليه منها ـ رؤوس الآي ـ، وما لا يوقف عليه منها، يؤكد ذلك أنه تعمد عدم وضع علامة الوقف على بعض رؤوس الآي التي بينها تعلق لفظي[2]، وهذا الصنيع هو أحد قولين مشهورين في مسألة الوقف على رؤوس الآي[3].

4- إن مما يلاحظ على هذه المصاحف أن علامة الوقف توضع أحيانا صغيرة لا تكاد تدرك، وكان الأولى توضيحها.

5- كما أن مما يلاحظ على هذه المصاحف وضع علامة الوقف (ص) وسط الكلمة، والأصل وضعها على آخر حرف فيها، إذ هو ما يوقف عليه منها.

6- جرى كاتب المصحفين على وضع علامة الوقف آخر السور، وأواخر السور من الوقوف التامة[4]، المعلوم تمامها، فلو لم يتخذ ذلك لما كان ثمة حرج، أما وقد اتخذه فلا بأس إن شاء الله تعالى.

هذا باختصار جملة ما يلاحظ في المصحفين مما يتعلق بعلم الوقف والابتداء، والله أعلم.

■ **سادسا: علم تجزئة المصاحف**

أو علم تجزئة القرآن الكريم، وهو العلم الذي يعرف به تقسيم القرآن

---

(1) أخرجه مسلم (807)، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام (11، 71، 74، ...)، فكلمة ﴿ٱلدِّينِ﴾ نهاية ثناء العبد على الله سبحانه، و﴿نَسْتَعِينُ﴾ نهاية ما بين العبد وربه سبحانه، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ نهاية سؤال العبد، وآخر السورة.

(2) من أمثلة ذلك في سورة البقرة مثلا: من المصحف الأول الآيات: 147، 151، 155، 157، 180، 181، 217، 218، 251، 270. ومن المصحف الثاني كذلك، إلا أن أرقام الآيات تختلف لما تقدم ذكره في الكلام على علم عد الآي في المصحفين، والله أعلم.

(3) والثاني: قول من قال بسنية الوقف على رؤوس الآي مطلقا، وضبط ذلك إما بوضع علامة الوقف على كل رأس آية، أو إخلاء الجميع، والتنبيه على هذا الاصطلاح عند التعريف بالمصحف. وهذه من المسائل المهمة في علم الوقف والابتداء، وتحريرها يحتاج إلى تطويل، ليس هذا محله.

(4) انظر: نهايات السور من المكتفى في الوقف والابتداء للداني.

المنارة للاستشارات
ww

الكريم إلى[1]:

(أ) • تقسيم القرآن الكريم إلى نصفين، وثلاثة أثلاث، وأربعة أرباع، ...، وهكذا إلى الأتساع والأعشار، وتحديد مواضع ذلك، اتفاقا واختلافا[2].

(ب) • تقسيمه إلى ثلاثين جزءا، وكل جزء إلى حزبين، وكل حزب إلى نصفين، وكل نصف إلى ربعين، وكل ربع إلى ثمنين، ومعرفة مواضع ذلك، اتفاقا واختلافا[3].

وهذا الثاني هو الذي اهتمت به مختلف المصاحف المطبوعة والمخطوطة، القديمة والمعاصرة، مع ملاحظة أن تقسيم الربع إلى ثمنين اصطلاح لأهل المغرب، ومتقدمي أهل مصر، أما المشارقة والمتأخرون من أهل مصر فأقل ما في الحزب عندهم الربع[4]. وعلى اصطلاح المغاربة مشى كاتب المصحفين، فهما في هذا الباب على نسق واحد، واتفاق تام، لكن محل النظر والملاحظة إذا وُضِعت علامات التجزئة وسط الآية، وقد وقع ذلك في تجزئة المغاربة، وذلك في الأثمان خاصة، وقد أحصيت جملتها في المصحفين فبلغت اثنتي عشرة (12) موضعا[5].

---

(1) المسؤول، معجم مصطلحات علم القراءات، (117). صالح بن محمد الرشيد، المتحف في أحكام المصحف، (59).

(2) وهو من نكت علوم القرآن التي تذكر في مظانها ككتب القراءات، والتفسير، وعلم رسم المصاحف، ونحوها، ولم أر اعتناء بها في المصاحف المطبوعة اليوم، إلا قليلا، ويشهد لبعض هذا التقسيم ما جاء في بعض الروايات، انظر لذلك كتاب:
مجموع الفتاوى لابن تيمية (410/13- 416). تحزيب القرآن لعبد العزيز الحربي (102-105).

(3) علي محمد الضباع، إعلام الإخوان بأجزاء القرآن، (30- 31).

(4) علي محمد الضباع، إعلام الإخوان بأجزاء القرآن، (30- 31)، وذكر بعض الاصطلاحات الأخرى، والقصد منها.

(5) هي: **البقرة** (ثلاثة مواضع): ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[85]. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾[195 مدني، و196 كوفي]. ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[233 مدني، و235 كوفي]. **آل عمران** (موضع واحد): ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[80 مدني، و81 كوفي].
النساء (ثلاثة مواضع): ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[19]. ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[91 مدني، و92 كوفي]. ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[156 مدني، و157 كوفي]. **المائدة** (موضع واحد): ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[34 مدني، و32 كوفي]. =

المنارة للاستشارات
ww

• **الفرع الثاني: المسائل الفنية، ومسائل أخرى**

وهذه المسائل قد سبق ذكر كثير منها لدى التعريف بالمصحفين، فمنها ما سأقتصر فيها على ما تقدم، وأحيل عليه، وغيرها أذكرها وأفصل فيها المقال، لمناسبة المقام، وهي كالآتي:

▪ **أولا: حجم المصحف وكونه موجها، أو غير موجه**

أما حجم المصحفين فقد سبق بيان مقاساتهما لدى التعريف بهما، كما سبق أيضا هناك ذكر كون المصحفين غير موجهين، فالخطاط لم يلتزم جعل نهاية كل صفحة بنهاية الآية، بل جعل الأمر تابعا لمقتضى الخط، وما اتفق معه، فقد توافق نهاية الصفحة نهاية الآية، وقد لا توافقها، هذا ما يذكر كوصف للمصحفين، أما من حيث الحكم على هذه الطريقة وتلك في كتابة المصاحف، فلها مقام آخر، يجب فيه ضرورة النظر في أثر ذلك على الكاتب للقرآن الكريم والخاطِّ له، وعلى القارئ والحافظ، والله أعلم.

▪ **ثانيا: نوعية الورق، والخط، والتعقيبة**

إذا تكلمنا عن نوعية ورق مصحفي الثعالبية فنحن نتكلم عن مصحف طبع في بدايات القرن الماضي حيث كانت الطباعة ومتعلقاتها لا تزال في بداياتها، لذا فالناظر في المصحفين جميعا يلحظ أنهما طبعا على كاغد بني، مائل إلى شيء من الصفرة، وما يلاحظ أيضا أن المصحف الأول ورقه في شيء من الملوسة، أما المصحف الثاني فورقه في شيء من الخشونة، يجمعهما وصف المتانة والقوة، فمصحف الثعالبية الأول في طبعته الثالثة التي بحوزتي سنة 1911م، أي مضى عليه إلى يومنا 103 سنوات، ولا يزال ورقه في حالة جيدة عموما، أما المصحف الثاني فآخر ما وجدت من طبعاته طبعة سنة 1971م، أي مضى عليه إلى يومنا 43 سنة وهو في حالة جيدة، تمكن القارئ من استعماله من غير حرج أو خوف، بل لا أبالغ إن قلت إن المصحفين في حال أحسن من حال كثير من مصاحف زماننا.

= **الكهف** (موضع واحد): ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[رأس آية عند المدني، وليس كذلك في الكوفي].

الأحزاب (موضع واحد): ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[37]. **الحشر** (موضع واحد): ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[2].

الطلاق (موضع واحد): ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[6]. **الجن** (موضع واحد): ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾[23].

المنارة للاستشارات

ww

أما خط المصحفين فهو الخط المغربي، المعروف يومها في المغرب الإسلامي عموما، خطهما متشابه إلى حد كبير، دال على أن اليد التي كتبتهما يد واحد، هي يد الخطاط السفطي ﷺ، إلا أن الملاحظ أن خط المصحف الثاني أكثر سمكا، وبنطه أكبر من بنط الأول قليلا. كما مشى الخطاط السفطي ﷺ على اتخاذ نظام التعقيبة في المصحفين رغم ترقيمه للمصحفين بالأرقام كما هو واضح في الصورة (2) في الملحق.

■ **ثالثا: التجليد، والزخرفة، والتلوين**

تجليد المصاحف[1] من الأمور المهمة التي تتبع طباعته، فقد اتخذ للمصحف الأول غلاف جلدي بني اللون قوي متين، وضعت عليه بعض الزخارف بطريقة الضغط.

أما المصحف الثاني فاتخذ له غلاف من الورق المقوى، متين إلى حد ما، طبعت عليه زخارف نباتية، وكتب على واجهته ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ في الأعلى، وفي الأسفل عبارة (رودوسي قدور مراد)، وبينهما في الوسط هلال كتب فيه بعبارة (المطبعة الثعالبية)، وبين طرفي الهلال صورة بناء شبيه بالمسجد.

أما الجهة الأخرى من الغلاف فكتب فيها في الأعلى ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ تكملة للآية السابقة، وفي الأسفل عبارة (بنهج مصطفى إسماعيل عدد 1)، ووسط ذلك زخرفة نباتية كتبت فيها كلمة (الجزائر).

وختاما أقول إن متانة ورق أو عدمه لا تكفي في سلامة التجليد، ذلك أن من المهم أيضا في ذلك طريقة لصق الأوراق بعضها ببعض، وطريقة لصقها بالغلاف، وهذا له أثره الكبير في عدم تمزق الأوراق وتبعثرها، وهي النقيصة الوحيدة الملاحظة على هذين المصحفين.

أما ما يتعلق بزخارف المصحفين فأغلبها زخارف نباتية كما يظهر من

---

(1) ويقال أيضا: تسفير الكتاب، كما في مجلة مجمع اللغة العربية عدد 95 (16)، ولعلها أخذت من جعل الأوراق سِفرا بتجليده، وهي من الصنائع التي اعتنى بها المسلمون، إلى حدّ أن ووضعوا فيها مؤلفات منها: (**التشهير في صناعة التسفير**) ليعقوب الموحدي، وهي من الصناعات الجليلة إذا تعلق ذلك بتجليد القرآن الكريم، وكتب العلم، كما أشار إلى ذلك ابن الحاج في المدخل (87/4) وما بعدها. وبوب الداني ﷺ في كتابه المقنع قائلا: «**باب ذكر من جمع القرآن في الصحف أولا، ومن أدخله بين اللوحين** ...»، وأسند تحته عن علي ﷺ أنه قال: «**أول من جمع القرآن بين لوحين**»، وفيه دلالة على اهتمام السلف بشأن غلاف المصحف. انظر: الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، (132).

المنارة للاستشارات
ww

الصور الملحقة، إضافة إلى بعض الزخارف الهندسية اتخذت لإطارات بداية المصحفين، وإطارات بداية السور، وبداية كل ربع.

أما من حيث الألوان فليس في المصحف الأول من مصاحف الثعالبية إلا اللون الأسود كتابة وزخرفة، أما المصحف الثاني فهو كالأول في طبعاته الأولى، ثم استخدمت في طبعاته المتأخرة الألوان كالأزرق، والأخضر، والأحمر في الزخارف والإطارات فقط.

▪ **رابعا: ما يلحق بآخر المصحف**

أما المصحف الأول فليس في آخره بعد سورة الناس إلا عبارة متعلقة بتاريخ طبعه، وسنة الطبع، وبعد ذلك دعاء الختم، كما هو واضح في الصورة (3) في الملحق.

وأما المصحف الثاني فقد جعلت له بعد سورة الناس خاتمة، ذُكر فيها ما يتعلق بهذا المصحف من الرواية المكتوب بها، ومما أخذ هجاؤه ورسم وضبطه، والمذهب المعتمد في عد آياته، ومذهب الوقوف المذكورة فيه، وما اعتمد عليه في بيان مكي السور، ومدنيها، وآخر ذلك أسماء اللجنة التي قامت على مراجعته، وقد سبق ذكرهم لدى التعريف بالمصحف، وبعد ذلك دعاء الختم مفتتحا بالبسملة، والصورة (6) موضحة لذلك.

الخاتمة

أجمل فيها ما خلصت إليه من نتائج، وأبرز ما يمكن أن يكون من توصيات، في النقاط الآتية:

- **الأولى**: (المصحف) اسم عربي، استعمل فيما يجمع، غير أنه لم يستعمل في المجموع من كلام الله تعالى مكتوبا إلا بعد وجوده، زمن أبي بكر ﷺ.
- **الثانية**: يرى البصير عظم جرم المستعمر الفرنسي الذي مع ادعائه المدنيَّة والعولمة، كان ضد وصولها إلى الشعوب المستعمرة، وما احتكار صناعة الطباعة إلا شاهد يسير على ذلك.
- **الثالثة**: أوضح البحث شيئا من جهود المطبعة الثعالبية في خدمة القرآن الكريم، وهذا من فضل الله على الناس بها، فله الحمد والشكر أولا، وآخرا، ثم دعوات الخير تترى على أولئك الذين سهروا وجاهدوا وبذلوا وصبروا ليصل القرآن الكريم، إلى المسلمين في أحسن حال رغم كل الأحوال.
- **الرابعة**: لم تكن جهود هذه المطبعة في طباعة المصحف فقط، بل كانت

المنارة للاستشارات
ww

سباقة إلى طباعة سائر كتب فنون الشريعة الإسلامية تفسيرا، وحديثا، ولغة وفقها، ونحوها، ومن راجع قائمة مطبوعاتها لوجد شيئا عجبا.

- **الخامسة**: يعد مصحف الثعالبية وخاصة الثاني عملا علميا عظيما إذا نظرنا إلى معاييره العلمية والفنية، واستصحبنا الزمن الذي كان هذا العمل، ومن الظلم والاستدمار، كيف لا ونحن نعجز اليوم في زمن اليسر والرخاء عن عمل يكافئ زمننا، بل عجزنا عما هو دون ذلك.
- **السادسة**: إن دراسة هذين المصحفين علميا وفنيا أوقفتني على جملة من المسائل المتعلقة بطباعة المصاحف، من حيث إمكانية توحيدها، وعدم ذلك، فكتبت فيها بحثا عنوانه: (طباعة المصاحف الشريفة بين توحيد المعايير وتعددها)، ضمن أعمال: (الملتقى الدولي الخامس للقرآن الكريم) بقسنطينة.
- **سابعا**: إن دراسة مختلف المصاحف القديمة، المطبوعة منها والمخطوطة، لمن الدراسات المفيدة، التي تصور لنا جملة من الحقائق العلمية والتاريخية المتعلقة بالقرآن الكريم، فلذا أوصي بأن يعقد مؤتمر وطني لبحث تلك المسائل المتعلقة بتاريخ المصحف في الجزائر، سواء المخطوطة منها أو المطبوعة.
- **ثامنا**: ويتبع ما تقدم التوصية بإنشاء مجمع قرآني جزائري خاص ومتخصص، يعنى بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم، نشرا وطباعة، وجزائرنا حفظها الله تتوفر على كل مقومات هذا العمل العظيم.

وهذا آخر ما رأيته تسطيره في هذا البحث، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ■

كشاف المصادر والمراجع

- إبراهيم الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة للنشر، ط1، 1429هـ/ 2008.
- أحمد التنبكتي، نيل الابتهاج، طلاب كلية الدعوة، طبع كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، ط1، 1398هـ/1989.
- أحمد الفوتي، مفتاح الأمان في رسم القرآن، الدار السنغالية، دكار.
- الآلوسي، روح المعاني، تح: علي عطية، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
- البخاري، الجامع الصحيح، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3،

المنارة للاستشارات

ww

1407هـ/1987.
• البخاري، جزء القراءة خلف الإمام، تح: فضل الرحمن الثوري، المكتبة السلفية، ط1، 1400هـ/1980.
• ابن تيمية، الجواب الصحيح، تح: علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ/1999.
• ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وتح: عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، مكتبة المعارف، المغرب.
• ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، اعتناء: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية.
• ابن جزي، التسهيل، عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ.
• ابن الجوزي، زاد المسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ.
• ابن الجوزي، فنون الأفنان، دار البشائر، ط1، 1408هـ/1987.
• الحاكم، المستدرك، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1990.
• ابن الحاج، المدخل، دار التراث.
• أبو حيان، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، 1420هـ.
• ابن خلدون، المقدمة (تاريخ ابن خلدون)، دار الفكر، 1431هـ/2001.
• الداني، البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، 1414هـ/1994.
• الداني، المحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن، دار الفكر، ط2، 1407هـ.
• الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف، تح: نورة بنت حسن، دار تدمرية، 1431هـ/ 2010.
• الداني، النقط، تح: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
• الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ/ 2003م.
• الزركشي، البرهان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، 1391.
• ابن السكّيت، إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي،

المنارة للاستشارات
ww

ط1، 1423هـ/2002.
• السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1996.
• سالم العوفي، تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.
• ابن سيده، المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ/1996م.
• السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر.
• شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، دار السلام للطباعة والنشر، ط2.
• شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، دار الفكر، ط4، 1426هـ/2005.
• الصفدي، تصحيح التصحيف، تح: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، ط1، 1407هـ/1987.
• الصاغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر.
• صالح بن محمد الرشيد، المتحف في أحكام المصحف، مؤسسة الريان، ط1، 1424هـ/2003.
• الطبري، جامع البيان، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000.
• الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، 1984هـ.
• عبد العزيز الحربي، تحزيب القرآن، دار ابن حزم، ط1، 1431هـ/2010.
• عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام، ط1، 1428هـ/2007.
• عبد الواحد المارغني، إجازة المشايخ النظار مطبوع نهاية النجوم الطوالع، دار الفكر، 1429هـ/2008.
• العسكري، الأوائل، دار البشير، طنطا، ط1، 1408هـ.
• ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م.
• علي محمد الضباع، إعلام الإخوان بأجزاء القرآن، تح: محمد الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث، 2005م.
• عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2،

المنارة للاستشارات
ww

1400هـ/1980.
• غانم قدوري الحمد، أبحاث في علوم القرآن، دار عمار، ط1، 1426هـ/2006.
• الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة.
• الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مركز الرسالة ...، مؤسسة الرسالة، ط3، 1433هـ/2012.
• القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: البردوني وأطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ/1964.
• القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح: مروان عطية وآخرون، دار ابن كثير، ط2، 1420هـ/1999.
• أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998.
• القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، ط1، 1418هـ.
• ابن القيم، تحفة المودود، تح: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، ط1، 1391هـ/ 1971م.
• ابن القيم، الصواعق المرسلة، تح: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، ط1، 1408هـ.
• ابن كثير، تفسير القرآن، تح: سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999.
• محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، تح: محمد حمزة الكتاني.
• محمد بن عبد الرحمن الطاسان، المصاحف المنسوبة للصحابة، دار التدمرية، ط1، 1433هـ/2012.
• محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط3، 1971.
• محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، 1349هـ.
• المخللاتي، القول الوجيز، تح: عبد الرازق إبراهيم موسى، ط1، 1412هـ/1992.
• المخللاتي، مقدمة شريفة كاشفة، تح: عمر المراطي، مكتبة الإمام البخاري القاهرة،ط1، 1427هـ/2006.

المنارة للاستشارات
ww

- مسلم، الجامع الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ/ 1990.
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف.
- مولاي محمد الإدريسي، استعمال الألوان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1430هـ/2009.
- المارغني، دليل الحيران على مورد الظمآن، تح: عبد السلام البكاري، دار الحديث، 1426هـ/2005.
- المارغني، النجوم الطوالع، دار الفكر، 1429هـ/2008.

ملحق البحث:

ويتضمن بعض الصور لمصحفي الثعالبية لمزيد من التوضيح:

الصورة (1)

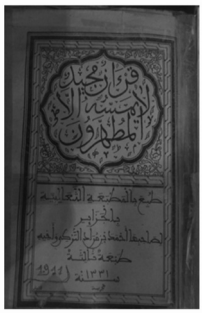

الصورة (2)

المنارة للاستشارات

ww

الصورة (3)

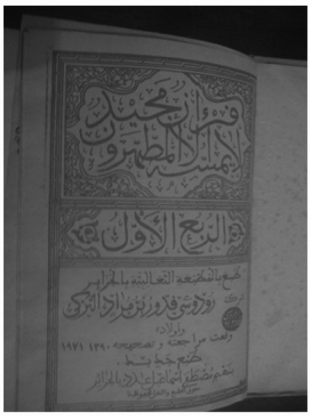

الصورة (4)

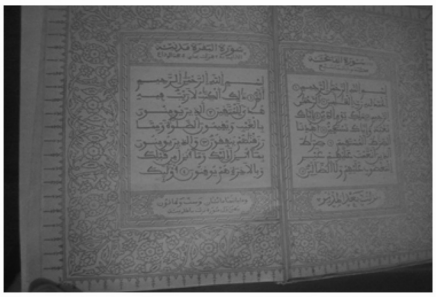

الصورة (5)

الصورة (6)

المنارة للاستشارات

ww